الانفال ... حلبجة

ذاكـــرة مـــوت ومقـــابـــر وحـــرائق وتهجـير

بغداد / علي ياسين

ما الذي تورثه استذكارات ما جرى، غير الخوف واللوعة.. غير الأسى والدموع..؟ مئات الآلاف ذهبوا، قتلوا أو شردوا. مالذي فعلوه.. الى أي حد وصلت القسوة بالذين مارسوا هذه العمليات، أي حقد يحملونه واي وحش كامن في دواخلهم..اباح لهم ان يفعلوا ما فعلوه.. صور القتلى والمدفونين احياء والمرحلين في سيارات مكشوفة ذهبت بهم بعيداً، بعيداً ولكنهم لم يغيبوا وذكراهم لم تغب فاسترجاع احداث ما جرى واجب كل شريف وكل انساني.

حكايات وضحايا واماكن واحداث ومدن أزهقت ارواح ابنائها من الفتية والشبان والنساء والشيوخ، حملات متصلة لابادة الشعب الكردي، ومسح هويته عبر التهجير والتذويب والقتل والتعبير الجماعي، غازات خردل وسيانيد وتابون وسارين ملأت سماء القرى الكردستانية في غفلة، وقطعت صلة الناس والاشجار والجبال والوديان والسهول بالحياة، الانفال، أيام ابادة وحرق للانسان والاشياء، مجمعات قسرية ومدافن جماعية، ونفي واقتلاع من المكان، الانفال صناعة جرائمية لموت الانسان الكردي ومعانيه في الحياة.

مجرمون محترمون وآلة عسكرية، أنفلوا بها شعباً أعزل باكمله حتى ان لقب (كيمياوي) على المجرم علي حسن المجيد لم يأت من الفراغ، بل حمله عما اقترف من جرائم تعجز الكلمة والصورة عن التعبير عنها.

"ما كان لهذا الكيمياوي ان يقوم بما قام به لولا التوجيه المباشر من سيده وابن عمه صدام، عندما فتح له كل الابواب ومنحه كل الصلاحيات، ومده بكل اسباب القتل والإرهاب ليبطش بمواطنينا شر بطشة.."

لقد أصدر مجلس قيادة الثورة المنحل قراراً لتنفيذ عمليات القتل والابادة والتهجير في "انافيلهم" المشؤومة جاء فيه:

"باسم الشعب، مجلس قيادة الثورة، القرار ١٦٠ تاريخ القرار ٢٩/٣/ ١٩٨٧، قرار: استناداً الى احكام الفقرة "٦" من المادة الثانية والأربعين والفقرة "٦" من المادة الثالثة والأربعين من الدستور، وتنفيذاً لما تقرر في الاجتماع المشترك لمجلس قيادة الثورة والقيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي المنعقد في ٨/ ٣/ ١٩٨٧، قرر مجلس قيادة الثورة بجلسته المنعقدة في ٢٩/ ٣/ ١٩٨٧ ما يلي:

اولاً. يقوم الرفيق علي حسن المجيد، عضو القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي، بتمثيل القيادة للحزب ومجلس قيادة الثورة في تنفيذ سياستهما في عموم المنطقة الشمالية وبضمنها منطقة كردستان للحكم الذاتي بهدف حماية الامن والنظام وكفالة الاستقرار فيها وتطبيق قانون الحكم الذاتي في المنطقة.

ثانياً. يتولى الرفيق عضو القيادة القطرية، لتحقيق اهداف هذا القرار صلاحية التقرير الملزم لجميع أجهزة الدولة المدنية والعسكرية والأمنية، وبوجه خاص الصلاحيات المنوطة بمجلس الأمن القومي ولجنة شؤون الشمال.

ثالثاً. ترتبط الجهات التالية في عموم المنطقة الشمالية بالرفيق عضو القيادة القطرية وتلتزم بالقرارات والتوجيهات الصادرة عنه التي تكون واجبة التنفيذ بموجب هذا القرار.

١- المجلس التنفيذي لمنطقة كردستان للحكم الذاتي

٢- محافظو المحافظات ورؤساء الوحدات الادارية التابعون لوزارة الحكم المحلي.

٣- اجهزة المخابرات وقوى الامن الداخلي والاستخبارات العسكرية.

٤- قيادات الجيش الشعبي.

رابعاً. تلتزم القيادات العسكرية في المنطقة باوامر الرفيق عضو القيادة القطرية بكل ما يتصل بـ "اولاً" من هذا القرار.

خامساً. يعمل بهذا القرار من تأريخ صدوره وحتى اشعار آخر، ويتوقف العمل بالأحكام القانونية التي تتعارض واحكام هذا القرار .

صدام حسين رئيس مجلس قيادة الثورة

ان قراءة اولية وبسيطة لهذا القرار، تبين انه يمنح "الكيمياوي" صلاحيات مطلقة تضع اقليم كردستان تحت قبضته الاجرامية، فبعد صدور هذا القرار، لم يجد الكرد، من دلالات، مفردات، حماية الامن والنظام، وكفالة الاستقرار، غير نقائضها، في الإرهاب والخوف والتهجير والاقتلاع والتدمير والموت! من هنا، لا نجد غرابة ان يطلق وعيده المسجل فيديوياً بصوته "إذا رأيت بيتاً بعد عام واحد في سهل اربيل باستثناء القرى العربية سأعرف ماذا افعل بالشخص المسؤول عن العملية" وعندما نعرف ألا وجود لاية قرية عربية في سهل اربيل، ستتبين لنا بقوة الروح العنصرية والفاشية لدى "الكيمياوي" لتطبيق مفردات القرار في الحقد والموت والجريمة، إذ راح ضحية تلك الحرب القذرة أكثر من ١٨٢ الف انسان من الشعب الكردي الأعزل، حرب، دفنت فيها النساء والأطفال والشيوخ وأحرقت الاجساد وطمرت جموع من البشر في مدافن جماعية.

(الى الاشقاء من اخوتي الشهداء)

كتبت سفيرة منظمة العفو الدولية لوقف التعذيب وعضوة الهيئة العليا لمنظمة العفو الدولية في الدنمارك تقول:

الصدى، صدى نواح زخات البكاء، يملأ رفوف وزوايا الفؤاد، ورفيقي الوحيد والوفي: لوحة المفاتيح التي هي نفسها مفاتيحي، تتقاسم ترانيم اعتكاف نجوم وارواح، غدت ملائكة تملأ السماء بضياء ما بعده ضياء.. لطالما تردد في ذهني اليوم وربما البارحة ايضا: لكم يشبه اليوم البارحة.. شاهدنا نفس الطفلة الرضيعة او الام اليتيمة تمر بنفس الارق.. بقوافيه الربانية المرة تلو الاخرى، وليس من مفر من الموت ومنها من الصعب العثور بين الاكوام على كلمات لاستيعاب فراق اشقاء اعزاء لم التق بهم قط، اجل لم يحالفني كرب الحظ والزمان ولا فعل، لان الحدود وقفت بيني وبينهم ولان اعاصير الحروب حالت دون جلوس بقاياي معهم يسألني صدى البكاء، ما الذي يجمعك بهم طالما لم تلتقهم ولو لمرة واحدة.. حسنا سأجيبكم، ما يجمعني بهم هو وطن واحد وتاريخ واحد ولغة مشتركة، وغربة، اجل حقا الغربة وازقة الاغتراب التي نفترشها تجمعنا، حبنا للجبال والينابيع بلا شك مشترك هو الاخر. والدموع، بلى بالتأكيد ذرفنا بحارا محيطات من دماء سماوية لا تراق اسفار الاسى بي على ابرياء كابدوا الويلات وكافحوا الذل والمهان وكدوا في البحر وعلى البر وعانوا من البرد والحر والانتهاك والاشواك والاسلاك من اجل لقمة العيش، واقترنوا مجبرين بقذيفة الموت لاحياء بكارة الحياة: اطفالهم... لاضافة ايام اخر في قاموس عمر الفطرة الانسانية السليمة، ولكن واسفاه اختطفت طائرات النهايات المباغتة عددا من براعمهم.

اتساءل بدون كلل: ما هذه الرغبة الجامحة للهدم والكره والقتل؟.. متى ستقتل تلك الرغبة، لتبطل وتقطع ذاكرة سلسلة زلزال القتل؟.

الجواب عند القيادة

ويذهب الكاتب الكردي خالد سليمان في كتابه الموسوم (الانفال حكايات من زمن مستقطع في وصف الانفال بالقول: اتسمت الانفال بجميع عناصر الابادة (والقتل الجماعي، حصر الناس في مجمعات قسرية، حرق الاراضي، وتدمير القرى (الارض المحروقة) فصل المجموعات الاجتماعية عن بعضها اغتصاب النساء، استخدام الاسلحة الكيمياوية المحرمة دوليا، تسميم منابع المياه في كردستان، الاعتقال العشوائي، والخ.. من النشاط الافتقار عرقي.

البداية كانت يوم ١٩٨٠ اذ اعتقل البعث في ظل سكوت دولي واقليمي في مجمع (قوشي تبة) القريب من مدينة اربيل (٨٠٠٠) شخص من البارازانيين واخفاهم الى الابد، ومن ضمن الوثائق التي تم الحصول عليها، حول هذه الجريمة، هناك ملف خاص بالبارزانيين مكتوب على غلافه بخط يد صدام: (هذا الملف سري وحصري، واذا سأل احد عن مصير البارزانيين اجيبوهم: عند القيادة.

وتؤكد اغلب الوثائق والمدونات والمصادر المرئية والمسموعة ان الانفال قد بدأت بكل ممارساتها غير الانسانية واللا أخلاقية في اغلب المدن والقرى الكردستانية عام ١٩٨٧، وقد تمثلت اولى الخطوات لحروب الانفلة ببناء مجمعات سكنية قسرية يزج بها الاكراد الذين يهجرون قراهم خوفا من بربرية العسكرة البعثية، ولم يكن المجتمع الدولي في هذه المعادلة، الا طرفا للتعتيم، أي (المناصفة في الجريمة والصمت) حسب تعبير (يوستر هيلترمان) وازاء هذا التناصف، تم بالفعل في العام ذاته، قصف مراكز قيادات الاتحاد الوطني الكردستاني في مناطق سركلووبركلو والحزب الديمقراطي الكردستاني والحزب الشيوعي العراقي في مناطق بهدينان بالاسلحة الكيماوية، عندما رأت الحكومة العراقية سكوت المجتمع الدولي عن هذه الخطوة في اختراق القوانين الدولية للاسلحة المحرمة دوليا، وسعت نطاق عملياتها، مطمئنة للصمت الدولي فكانت الانفال التي بدأت في العام ذاته، وشارك فيها (الفيلق الاول، والخامس من الجيش، مديرية الامن العامة، الاستخبارات العسكرية، فيالق من جيش غير نظامي، الجيش الشعبي من الحزب الحاكم، القوات الخاصة، الحرس الجمهوري، افواج من الكرد المرتزقة للنظام (الجحوش) اضافة الى مساندة هذه القوات بالدبابات والمصفحات والمدافع الثقيلة والخفيفة والميدانية، والمروحيات والطائرات المزودة بالقنابل الكيماوية والاسلحة المحرمة دوليا، في البداية قصفت الطائرات اكثر من اربعين هدفا في كردستان، ثم بدأت العمليات بقيادة (علي حسن المجيد) المعروف عند الكرد بـ(علي الكيمياوي) تحت شعار (تصفية او تجميع).

ووزعت العمليات على ثلاث مراحل (٢١ نيسان-٢٠ مايس) و(٢١ مايس-٢٠ حزيران). اما الثالثة فبدأت بعد اربعة اشهر من هذا التاريخ، احرقت خلال هذه الفترة اكثر من ٧٠٠ قرية وحقول زراعية ومدارس ومساجد، ثم استمرت تحت اسماء الانفال الرابعة والخامسة والسادسة، والسابعة والثامنة في جميع مناطق كردستان، الى شهر أيلول ١٩٨٨ اذ اعلنت الحكومة رسميا عن النهاية (المنتصرة) لعمليات الانفال.

واليك عزيزي القارئ جدولا توضيحياً لعدد الضحايا في كردستان، كما وثقتها الامم المتحدة بوثيقتها المرقمة ٥/١٩٨/٦ في ٢١/ ٤/ ١٩٨٨:

السنة	عدد الضحايا
١٩٨١	١١
١٩٨٢	٢٩
١٩٨٣	٥٧٤
١٩٨٤	٢٢٣٧
١٩٨٥	٣٢٦٧
١٩٨٦	١١١٤١
١٩٨٧	١٣٤٩٦
١٩٨٨	١٣٦٧٣

ضحايا الاسلحة الكيماوية حسب وثيقة الامم المتحدة.

ذاكرة من زمن مؤنفل!

تصلح شهور التأنفل أن تكون مدونة سردية يهتز الضمير الإنساني لها، لو أبدعها راوٍ بارع وخلاق، ومتمكن من ادواته السردية الفنية التعبيرية، ولو حصل ذلك فعلاً، ستكون هذه الرواية مرجعاً لمآس لن تزول من الذاكرة الكردستانية الحديثة لأجيال قادمة، خفايا وتغريب لرواة ماتوا في رمال الجنوب القصية، ضحايا ملأت عيونهم ونفوسهم أتربة المطامر الجماعية، صبايا أسكتت حياتهن غازات الموت، وأطفال اقتلعت حياتهم بلا هوادة، نحتاج في هذه المأساة إلى ذاكرة تكشف وتؤرضن وتضيء المخفي من المرويات وتدون ما كان مسكوتاً عنه.

"تقول الأم "آمنة": في نقرة سلمان كانت الحياة جحيماً وقد وصل طعم الإهانة إلى عظامنا، كان مدير سجننا يسمى "حجاز"، وهو الذي منعني من دفن ابني وابنتي الصغيرين، وأخذ جثتيهما، مني، مع الحراس الآخرين وقال: نحن ندفنهما.

وتتابع: بقيت في الغرفة وبكيت وانهارت أعصابي وحسب رواية آمنة خورشيد، فإن الطعام في ذلك السجن كان عبارة عن طحن الخبز العسكري "الصمون" وخبزه للمرة الثانية على "الصاج" لأن الصمون كان قاسياً، تفوح منه رائحة الغاز، كما تقول السيدة خورشيد بكلمة واحدة وهي "خلاص" بمعنى انتهت "الفلقة" لذا كنا نسميه "عمو خلاص". كان حجاز يسكر كل ليلة ثم يأتي إلينا ويختار منا واحدة أو اثنتين أو مجموعة للتعذيب، غاب مرة ولم يظهر لمدة أسبوعين من الزمن، عرفنا من خلال "عمو خلاص" أنه تزوج ولما عاد، كان قرار إطلاق سراح مجموعات منا قد صدر، فانزعج وقام بضربنا بكيبله الخاص.

نوري محمد ٧١ عاماً، احد الناجين من كارثة الموت الانفالية، يستعيد الأحداث حزيناً، فقط خطوط الشمس، تكشف ملامح وجهه المشبعة بالمأسي والانكسار، محمد هو الناجي الوحيد من عائلته المكونة من تسعة أفراد، أبناؤه الخمسة، وبنتان وزوجة، كلهم قتلوا بوحشية الانفلة. يقول محمد: سأنتقم لعائلتي وكل ضحايا كردستان من خلال مشاركتي ونضالي من أجل بناء عراق حر ومستقر جديد.

ناج آخر، من الأكراد الذين أجبروا على العيش في مدينة بنيت خصيصاً لهم في محافظة السليمانية وسميت مدينة "الصمود" شهور الأنفلة السود، يقول: الناجي بعد انتفاضة عام ١٩٩١ تغير اسمها إلى رزكاري والتي تعني التعويض، رزكاري الحياة قادمة، نحن متأكدون من ذلك.

قصص وحكايات وأبطال، مرت، في زمن أسود لن يتكرر مدن وقرى، جبال ووديان وسهول، سيحضنها الأمن والاستقرار والسلام، بعد أن حرقها صانعو الموت والدمار والانفال، وسيكتب الكردستانيون تأريخهم، مضمخاً بدماء الشهداء.

المخرج الكردستاني "مانو خليل" كشف عن وجه جريمة الأنفال البشع والفظيع من خلال فيلمه الوثائقي "الأنفال، باسم الله، البعث وصدام" ويعد هذا الفيلم وثيقة تأريخية عن جرائم دموية منظمة وإرهاب دولة مقيت مورس ضد الكرد، الفيلم يتحدث عن الحرب التي أعلنها صدام ضد الشعب الكردي التي أعطى لواء فضاعتها إلى ابن عمه "علي الكيمياوي". وقد تضمن الفيلم شهادات مع ناجين من مجازر الأنفال مصادفة، ومقابلات مع عوائل ابتلعتها سجون الصحراء العراقية في نكرة السلمان، فضلاً عن إرسال بنات بعض العوائل، كمسبيات حرب، إلى ملاهي ومراقص مصر الليلية، كما أنه يسلط الضوء على ضحايا المجزرة التي راح ضحيتها أكثر من ١٨٢ ألف إنسان كردي وتدمير أكثر من ٤٥٠٠ قرية، تم نهب كل ممتلكاتها، كما أنه تعرض إلى معاناة وآلام الشعب الكردي، وحقه في مثول صدام وزمرته أمام المحكمة لينالوا حقهم عما اقترفت أيديهم من جرائم وآثام.

من ضرب حلبجة

في مقال للكاتب والقاضي زهير كاظم عبود تحت عنوان "من ضرب حلبجة"؟ يقول: في مقابلة بثتها فضائية (MBC)سأل المذيع نزار الخزرجي الذي كان يشغل منصب رئيس أركان الجيش إبان الحرب العراقية الإيرانية.

عن المسؤول عن الضربة الكيمياوية التي وجهت إلى مدينة حلبجة الشهيدة، أجاب الخزرجي - الكلام ما زال لكاظم زهير عبود - في المقابلة المسجلة التي قدم لي صديق عراقي نسخة منها، بانهم كانوا حينها مشغولين في التخطيط لمعارك (تحرير الفاو والشلامجة وبقية المناطق الجنوبية حتى مناطق مندلي من القوات الإيرانية التي احتلتها) واتصل به هاتفياً الفريق، كامل ساجت أحد قادة الفيالق (تم إعدامه من قبل صدام لاحقاً)، يخبره بأن طائرات تعرضت إلى القوات العراقية المتجحفلة في مدينة حلبجة وما حولها من المرتفعات إلى ضربة بالأسلحة البايلوجية، لم يكن الخزرجي على علم بهذه الضربة كما يزعم، فاتصل بدوره بوزير الدفاع، عدنان خير الله طلفاح، كما يقول في المقابلة التلفزيونية، الذي زعم أنه لا يعرف عن هذه الضربة وسيستعلم عنها من القيادة، ويتصل به بعد أكثر من ساعة. وفعلاً يقول الخزرجي، أنه بعد ساعة ونصف اتصل به وزير الدفاع، يخبره، أنه علم من صدام شخصياً، والذي كان حينها القائد العام للقوات المسلحة العراقية، بأن الطائرات عراقية والضربة عراقية وبأمرٍ من صدام حسين.

ونقلاً عن وكالة (آتي) الإيطالية للأنباء في الرابع عشر من شهر آب ذكرت صحيفة تصدر في اللغة الكردية في أربيل أن "الشرطة الدولية (الانتربول)، أصدرت مذكرة قبض بحق نزار الخزرجي، رئيس الأركان في نظام الرئيس العراقي السابق، لتسليمه إلى العراق، لإجراء محاكمته عن جريمة الأنفال التي ينتظر النظر فيها بعد أسبوع من الآن" ونقلت صحيفة (خبات)، التي يصدرها حزب الزعيم الكردي مسعود بارزاني رئيس الإقليم، عن موقع خاص بالانتربول "إن صورة الخزرجي وبعض المعلومات الشخصية عنه قد نشرت في الموقع بهدف البحث عنه، وطالبت الشرطة الدولية التعاون، لإلقاء القبض عليه وتسليمه إلى العراق" وكان الخزرجي أحد القيادات البارزة في نظام صدام حسين، حيث قاد عدة فيالق عسكرية أثناء الحرب العراقية الإيرانية، ثم أصبح رئيساً لأركان الجيش، ويتحدث قادة أكراد عن دوره البارز في حملات الأنفال، التي استهدفت مناطق كردية عدة وأودت بحياة أكثر من ١٨٢ ألف مواطن كردي بين عام ١٩٨٨ - ١٩٨٩، وكان الخزرجي يقيم في الدنيمارك طوال السنوات الماضية ولا يعرف مكان وجوده، الآن، بعد أن حرك بعض اللاجئين الأكراد دعاوى قضائية، ضده في محاكم أوروبية لدوره في عمليات الأنفال.. يا ترى هل ستستطيع الشرطة الدولية إحضار الخزرجي، شاهداً ومتهماً في آن معاً.

حقوق الإنسان العراقي المنتهكة

تؤكد أغلب الدراسات السياسية الحديثة عن العراق وكما يؤكد أغلب المؤرخين والمحللين السياسيين العراقيين، بأن انقلاب البعثيين عام ١٩٦٣، كان انقلاباً دموياً، شهد تدهوراً في حقوق الإنسان العراقي، بشكل لافت للانتباه والمتابعة وتأويل أسباب ذلك، تسعة أشهر دامية من سلطة البعثيين القامعة والمستهترة بحقوق الإنسان العراقي، لم تمض دون أن تترك آثارها في الصراع والتمزقات والشروخات في سايكلوجية الفرد العراقي.

وما ان زالت هذه الحقبة السوداء، حتى جاء البعثيون بانقلاب عسكري ثان دام عام ١٩٦٨، وبلغت انتهاكات حقوق الانسان ذروتها عدا ذلك زج الشعب العراقي في كوارث الحروب والتهجير والمدافن الجماعية، في شعار الحكم الذاتي، من خلال افراغ هذا الحكم، رغم منحه، من محتواه السياسي وتسليم قيادته بيد عناصر عربية واخرى كردية مستعر به لا علاقة لها بالشعب الكردي وقضيته العادلة، إلا ان اسوأ ما قام به هذا النظام على صعيد المسألة الكردية تبلور في عدد من الإجراءات التي شهدناها في سياسات النظام الملكي، ولكنها بابعاد جديدة، وأهداف أكثر بشاعة ودموية...".

ذاكرة الثقافة والموقف

والمحاكمات الصورية، ويرى الدكتور منذر الفضل ان تلك الانتهاكات تزامنت مع تسلط البعثيين عام ١٩٦٣، فيشير الى ذلك بالقول: "نعود الى بدايات الهجرة ونقول لقد كانت بداياتها من العراق عام ١٩٦٣، ويمكن ارجاعها للاسباب السياسية ممن تعرض للاضطهاد من حكم البعث في الشهور التسعة من الحكم الفاشي، وبفعل الانتهاكات لحقوق الانسان، من تجاوزات، ما سمي آنذاك بالحرس القومي، وهي ميليشيات حزبية بثياب عسكرية، ارتكبت ابشع الجرائم ضد الكثيرين من الشعب العراقي وبخاصة ضد العديد من المثقفين العراقيين، ذلك ان هذه الميليشيات، كانت فوق الدستور والقانون، ثم تبع ذلك سلسلة من الاعدامات وانتهاكات لحقوق الانسان بعد الانقلاب العسكري عام ١٩٦٨، تعرض لها الاكراد والاكراد الفيلية، والعشائر العراقية في جنوب العراق ووسطه، تمثلت ذروتها في سياسة التطهير العرقي ضد الاكراد الفيلية منذ عام ١٩٧١ وضد الاكراد بوجه عام في مناطق متعددة في كركوك وطالت سكان الاهوار والعديد من المدن والقرى الحدودية، ثم ازدادت بصورة كبيرة قبل واثناء الحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٠- ١٩٨٨) مما سبب الى جانب الانتهاكات الخطرة لحقوق الانسان، هجرة وتشريد الآلاف من اللاجئين العراقيين الى مختلف الاصقاع والبقاع.

ويرى الدكتور كاظم حبيب في مقال له تحت عنوان"من اجل معالجة احزمة وسليمة لآثار سياسات التطهير العرقي والتهجير القسري إزاء الشعب الكردي في العراق، ان هناك اساءات كبيرة لحقت بالشعب الكردي، وتجلت أبرزها في ان كل الحكومات الملكية، قد رفضت الاعتراف بوجوده واستقلاله في التكوين والخصائص القومية والارثية الفكرية والثقافية والمعرفية الحضارية، يضيف حبيب: "اما حكم البعث العفلقي الثاني، الذي قاده البكر وصدام حسين، فقد اتخذ منحى آخر حاول القضاء على المسألة الكردية من خلال مواقف تتسم بالمناورة والخداع والتلاعب بالشعارات والحلول الجزئية والالتفاف عليها، ولكن الهدف المركزي لصدام حسين وطغمته كان قد تبلور في مهمة الاجهاز على كل حل يمنح الشعب الكردي حقه في تقرير مصيره، الذي تجلى في حينها

براءة الى أطفال كردستان

لم يعد خافياً على أي ذي عقل وبصيرة وانصاف، ان هناك سرباً من المثقفين والادباء، والمفكرين العروبيين، وقفوا بغير حق ولا رؤية انسانية لحروب وكوارث النظام السابق وبخاصة منها جرائم الانفال، بل ذهب البعض من اولئك الى أبعد من ذلك، حين قلبوا الحقائق وزيفوا الاحداث، عماءً في التفكير والموقف والانتماء، وطمعاً بهبات وعطايا ومكرمات القائد! فلقد ابتلعوا الطعم، وجعلوا الضحية خائناً!! لكن في الجانب الآخر من مرتزقة الثقافة والمواقف الهشة، انبرى كتاب عراقيون وعرب واجانب، بما يحملون من رؤى وافكار ومبادئ تقدمية وانسانية، الى تلك الجرائم وفضح أثارها غير الانسانية، فضلاً عن اهدافها العنصرية الشوفينية.. وآثرنا ونحن نعد ملف الانفال ان نعيد الى الاذهان والذاكرة، بعضاً من تلك الكتابات التي ستظل ذاكرة للاحداث والاجيال، والتأريخ، وخير ما نذكر هنا، رسالة المفكر العراقي الراحل هادي العلوي "براءة الى اطفال كردستان" المنشورة في صحيفة السفير البيروتية بتاريخ ٢٣/ ٩/ ١٩٨٨، يقول الراحل فيها:

(ليس من المعقول أبداً، وليس من المنطقي ابداً ان يستمر هذا النهر من الدم في الجريان، دون ان يسعى احد لتكسيره، أي عشق للقتل، يتلبس هذا الرجل، الذي لم يعد قادراً على العيش خارج هذا النهر؟ حتى كأن السلطة لم يبق لها معنى، سوى تحرير مراسيم الموت، بلا حدود، وبلا سبب، وبلا هدف.

ان أي قاتل محترف، جائع، مريض، قد يمر بفترة استراحة، يتكلم فيها مع نفسه، وربما طرح عليها سؤالاً عن بعض ما اختارهم للقتل، ان كان قد احسن الاختيار. لكن هذا القاتل البدعة لايريد ان يستريح يرفض ان يأخذ اجازة، يطرح فيها على نفسه هذا السؤال.

ان الدفاع عن السلطة في العالم الثالث، يستوجب القتل، لتثبيتها، وهو قد قتل ما يكفي لتثبيتها طيلة عشرين عاماً ومع ذلك، فهو لم يتوقف عن لعبة الموت، صار وجوده في الحكم يتركز في معنى ان نهر الدم يجب ان لا ينقطع عن الجريان، لان انقطاعه، يجعل سلطته بلا معنى.

اباد من رعاياه، في المدة ما بين (١٩٦٨- ١٩٨٠) قرابة عشرين الفاً، معظمهم بوسيلته المفضلة: التعذيب، الذي يشمل اقرب خلصائه.

تقول الروايات، انه اعدم "ناظم كزار" مدير أمنه العام، نشراً بالمنشار، لانه تحداه في المحكمة الخاصة. وتقول أخرى، انه سلق وزير صناعته "محمد عايش" في طنجرة نحاس (صفرية) لانه تجرأ ليه في محكمة مماثلة، والخيال الشعبي، حين ينسج هذه الصورة، انما يستند الى أرضية، هي التي تفسر لنا معظم ما نقرأه في التاريخ القديم، والحديث من الأمور الخارقة، فهي ليست مجرد حكي، يتناقله الناس، دون مضمون أرضي.

واليوم، وقد سكتت الجبهة الايرانية، تتوجه الفيالق الى كردستان. الجيش العراقي هناك، معلنا عن حضور بالكثافة نفسها، والمعدات نفسها، نفس الطريقة في القتال، دليل على ان اندفاعه في تلك الجبهة، لم يكن بسبب معنويات خاصة، نسبها اليه انصار الدفاع عن الوطن من العراقيين، فها هو يواصل في كردستان حروبه الاجرامية بكل بشاعتها. كنت اقول لهم: ان هذا الجيش سيقوم بنفس المهمة، حين يكلف بالهجوم على بيوتكم.

ان ما يجري في هذه الايام يتحدى الخيال، ولا يعبر عنه بقاموس. اشعر بالعي، وصعوبة الكلام، ابحث عن مفردات مطابقة وتتهذر علي. صدقوني، ان بحثت لعلي اجد ما يساعدني على تحرير وصف لما يجري في كردستان العراقية، فلم تسعفني اللغة، ان الافادات التي ادلت بها منظمة العفو الدولية، وبعض الحكومات في اوروبا، قد عبرت عن الدهشة غير انها لم تدخل في عمق المفارقة، كيف يكون هذا الجيش؟ كيف يكون هذا الرجل الذي يعطي الاوامر؟ ان الجنود العراقيين، يجتازون في هذه الساعات الحدود التركية ليصبوا حمم مدافعهم على مخيمات اللاجئين، الاكراد، هل سمع احد بهذا من قبل؟ ان اللاجئين ما ان يجتازوا حدود بلادهم، حتى يصبحوا آمنين بحكم الاعراف الدولية.

اما ملاحقتهم وراء الحدود، وهم مجرد لاجئين، وبعد ان يكونوا قد سكنوا الخيام لاستكمال ابادتهم، فهذا من خصوصيات جيشنا وقائده العام، لقد امست الهمجية التركية بعراقتها في العدوان على شعبها، والشعوب المحكومة بها، ملاذا لهؤلاء النازحين، ولولا جبن هذا الجيش وخوفه من الاتراك، لكانت المخيمات الكردية، قد إمّحت من الوجود الان.

يهجم الجنود العراقيون على القرى الكردية، لينفذوا خطط ابادة منظمة، كما تقول حرفيا منظمة العفو الدولية في موقف استثنائي، خرجت به على لغتها الانكليزية المحايدة، هذه القرى الوديعة، البسيطة، المتصوفة في زوايا جبال، طالما فاضت على العراقي باللبن والعسل، واستقبلته بنداء (كاكه) الذي يعني عند الاكراد، أنك آمن على نفسك ومالك وكرامتك الشخصية، فالكردي العادي، هو مثل سفوحه الخضر، لا يصدر عنه الا الطيب، حتى لصوصهم وقطاع الطرق منهم، يملكون من القيم الاخلاقية ما لا تملكه أكثر الجيوش تحضرا.

يمسحها الجندي العراقي بحذائه المحمل بالغاز السام، ثم يجمع ما تبقى بها من الاطفال والامهات والجدات، حتى يتمتع برؤيتهم وهم ينامون كالفسائل المقطوعة تحت اخامص بنادقه، الرشاشة، لم يتردد الجندي عن اداء هذا الدور، لم يأخذه الندم، ولم يسأل الطيار نفسه، على من يرمي قنابله الكيماوية؟ ناهيكم عن ان يفكر بالنزول بطائرته في بلد آخر، لكي يكتسب الجنسية البشرية، ويعلن للعالم حقيقة ما يجري في هذا البلد العجيب، كلا، ابداً بل اقولها عن تثبت –ونحن ابناء قرية واحدة، كما يقول المثل العراقي- انه سيعود بعد ان يفرغ حمولته على غرف نوم الاكراد ليحدث زوجته، او عشيقته عن بطولاته لذلك اليوم.

ايها الطفل الكردي المحترق بالغاز في قريته الصغيرة، على فراشه، او في ساحة لعبه، هذه براءتي من دمك اقدمها لك، معاهدا إياك، الا اشرب نخب الامجاد الوهمية، لجيوش العصر الحجري، اقدمها لك على استحياء، ينتابني شعور بالخجل منك، ويجللني شعور بالعار أمام الناس، اني احمل نفس هوية الطيار الذي استبسل عليك، وليت الناس اراحوني منها، حتى يوفروا لي براءة حقيقية، من دمك العزيز، انا المفجوع بك، الباكي عليك في ظلمات ليلي الطويل، في زمن حكم الذئاب البشرية، لم نعد نملك فيه الا البكاء، اقبلها مني، ايها المغدور فهي براءتي اليك من هويتي).

احفاد نور الدين وصلاح الدين

ومن الجدير بالذكر هنا نداء، جاء بصوت الرئيس الجزائري الاسبق احمد بن بلة وجهه للحكومة العراقية انذاك والرأي العام في ٣/ ١٩٨٨/٩ جاء فيه:

انني ادعو الحكومة العراقية للكف عن حرب الابادة ضد الشعب الكردي وادعو الحكومات والقوى السياسة في الوطن العربي والعالم الاسلامي للخروج عن صمتها وممارسة الضغط من اجل ايقاف المجازر.

ان ابناء الشعب الكردي، احفاد نور الدين وصلاح الدين الايوبي، وقفوا منذ مئات السنين ومنذ ان جمعتهم راية الاسلام بجانب العرب، وقد نظم الشعب الكردي المظاهرات الضخمة ضد العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ونظم شعراؤه وادباؤه بعض اجمل نتاجاتهم حول ثورة الجزائر، ان هذا الشعب في محنته اليوم يستحق من اخوانه العرب والمسلمين ان يرفعوا اصواتهم لحمايته من الابادة، وهو اضعف الايمان لكي لا يسجل التأريخ بأننا علمنا وشهدنا وسكتنا.

عباس بيضون : شقيقنا الكردي

وكما عهدناه عباس بيضون الشاعر والناقد والانسان لم يبق متفرجا على انفال النظام السابق، الاجرامية وهي تبتلع الانسان والاشياء، فكتب مقالا في جريدة السفير البيروتية في ٢٠٠٠/٣/٣ تحت عنوان: (شقيقنا الكردي) جاء فيه: (شقيقنا الكردي تركناه طعمة للغاز الخانق والمدافن الجماعية للاحياء والصخور القاتلة، وحين سألني كردي كيف لي ان اهتم بثقافات بعيدة ولا القي نظرة على ثقافة الجوار، وجدت ما قاله حقا، لكنني لم اقل له انني رأيت صور حلبجة، ايضا، في مجلات اجنبية وعلمت بخطة الانفال من كتاب مترجم عن الانكليزية.

ولم اقل له انني لم اكن في يوم مع اضطهاد الاكراد، لكني لم اعرف في المنطقة جماعة او شعبا او شخصا غير مضطهد، لم اقل له اننا ننسل كثيرا، هنا، لفرط ما نكره الحياة، ننسل كثيرا لكي لا نتألم لموت الاطفال، واننا لا نفكر بان موت الاطفال، مختنقين بالغاز يهز العرش حقا.

لا خاتمة

لا خاتمة لهذا الملف ولا اسدال لستار مسرح احداث مجزرة الانفال، لا خاتمة اذا لم يرَ الضحايا الناجون القصاص الحق والاعدل، بصناع الموت وقاتلي الاطفال وحافري المدافن الجماعية، لا خاتمة، ما لم تشهد القرى والجبال والسهول والوديان على ذلك، لا خاتمة ما لم ينم الشهداء هانئين، بسلام، سلام الوطن وتقدمه وحريته، بعد ان تطيح العدالة برؤوس المجرمين والطغاة.

١)اعتمدنا في اعداد هذا الملف على كتاب (الانفال حكايات من زمن مستقطع) لمؤلفه خالد سليمان، منشورات دار سردم للطباعة والنشر، السليمانية، ٢٠٠٥، وكذلك على بعض المقالات والبحوث المنشورة في الصحف ومواقع الانترنيت.

٢)ملحق باسماء بعض العوائل والاشخاص المعتقلين والمغيبين في عمليات الانفال (الثامنة) المشؤومة.

الانفال قطعت صلة الناس والاشجار والجبال والسهول والوديان بالحياة

*ضحايا ملأت عيونهم ونفوسهم أتربة المطامر الجماعية

*صبايا اسكنت حياتهن غازات الموت